



كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY قطر، جامعة



مجلة دولية علمية محكمة - يصدرها قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر

International Scientific Journal issued by The Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences - Qatar University

أنساك
ANSAQ



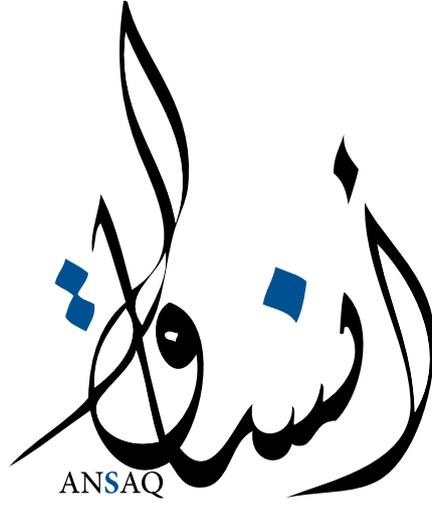
ON LINE-ISSN: 2520-7148

PRINT-ISSN: 2520-713X

مايو
2017

العدد
1

المجلد
1



مجلة علمية دولية محكمة
تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

المجلد الأول
العدد الأول - مايو 2017م

المجلد الأول، العدد الأول
مايو 2017م
لوحة غلاف العدد للفنان : علي حسن
شعار اسم أنساق بخط : إبراهيم أبو طوق

للمراسلات

قطر – الدوحة، ص ب 2713 جامعة قطر. كلية الآداب والعلوم – قسم اللغة العربية – مجلة أنساق

المراسلات باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني للمجلة : ansaq@qu.edu.qa

الموقع الإلكتروني للمجلة : www.qu.edu.qa/ansaq

الترقيم الدولي الإلكتروني : Online-ISSN:2520-7148

الرقم الدولي : Print-ISSN:2520-713X

هاتف رقم : + 974-4403-6441 + 974-4403-4823

فاكس رقم : + 974-4403-4501

رقم الإيداع : 445/2016



مجلة علمية دولية محكمة

تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

* المدير العام *

الدكتورة مريم النعيمي
رئيس قسم اللغة العربية

* مدير التحرير *

د. أحمد حاجي صفر

* الإشراف العام *

الدكتور راشد أحمد الكواري
عميد كلية الآداب والعلوم

* رئيس التحرير *

أ.د. عبد القادر فيدوح

* هيئة التحرير *

امتنان الصمادي
رامي أبو شهاب
رضوان المنيسي
عبد الله الهيتاري
عماد عبد اللطيف
عمرو محمد فرج مدكور
محروس بريك
محمد مصطفى سليم
هيا محمد الدرهم
علي فتح الله
لولوة حسن العبد الله

* الهيئة العلمية *

حافظ إسماعيلي علوي
حبيب بوهروور
رشيد بوزيان
عبد السلام حامد
مبارك حنون
محمد لطفي اليوسفي
محمود الجاسم
مراد مبروك

* الهيئة الاستشارية *

حمد بن عبد العزيز الكواري (قطر)
سعيد يقطين (المغرب)
شكري المبخوت (تونس)
عبد العزيز عبد الله تركي السبيعي (قطر)
عبد الله العشي (الجزائر)
عقيل مرعي (إيطاليا)
علي الكبيسي (قطر)
فاضل عبود التميمي (العراق)
مصطفى قرقرز (تركيا)
معجب العدواني (السعودية)
هادي حسن حمودي (بريطانيا)
Eric Gautier (France)
Luc Deheuvels (France)

قواعد النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث العلمية الرصينة باللغة العربية في حقل الآداب والعلوم الإنسانية.
2. تخضع البحوث المنشورة للتحكيم على نحو سري.
3. يجب ألا يقل عدد كلمات البحث عن 4000 كلمة، ولا يزيد عن 8000 كلمة.
4. ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة.
5. أن تتضمن الصفحة الأولى من البحث:
 - ✻ عنوان البحث باللغة العربية،
 - ✻ اسم الباحث باللغة العربية،
 - ✻ اسم الجامعة،
 - ✻ البريد الإلكتروني،
 - ✻ ملخص البحث باللغة العربية (فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
 - ✻ الكلمات المفتاح (لا تزيد عن سبع كلمات)
6. أن تتضمن الصفحة الثانية من البحث:
 - ✻ عنوان البحث باللغة الإنجليزية،
 - ✻ اسم الباحث بالحرف اللاتيني،
 - ✻ اسم الجامعة بالحرف اللاتيني،
 - ✻ البريد الإلكتروني،
 - ✻ ملخص البحث باللغة الإنجليزية (في فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
 - ✻ الكلمات المفتاح باللغة الإنجليزية (لا تزيد عن سبع كلمات)
7. توضع الهوامش في أسفل كل صفحة، وتكون مربوطة بشكل آلي بالمتن. كما يبدأ ترقيم الهوامش عند بداية كل صفحة جديدة.
8. إذا تكرر ذكر المرجع في الصفحة نفسها، يشار إليها بـ "المرجع نفسه".
9. توثق الإحالات على النحو الآتي: يذكر اسم المؤلف العائلي فالشخصي، ثم عنوان الكتاب أو المقال، ورقم الصفحة. (على أن يوثق المرجع بشكل كامل في لائحة المصادر والمراجع ويكون ذلك على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، الجزء / أو العدد، الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع).
10. أي بحث لا تتوفر فيه الشروط الشكلية المذكورة يستبعد تلقائياً دون النظر في محتواه.

فهرس

استهلال

كلمة الدكتور عبد العزيز عبد الله تركي السبيعي .

متون

- 15 المقاربة الإدراكية للرمزية الصوتية: شعرية الاشتقاق في تجربة الشاعر أمل دنقل محي الدين محسب
- 33 الانبعاث في شعر خليل حاوي: (قراءة في ديوانيه الأوّلين: «نهر الرماد» و«الناي والريح») إحسان بن صادق اللواتي
- 53 سيميائية الشخصية في رواية «مملكة الفراشة» لواسيني الأعرج مفرح بن شعبان عسييري
- 75 الصّمت في الحوار «رواية موسم الهجرة إلى الشمال» للطّيب صالح نموذجاً زهير القاسمي
- 93 الذاكرة والإبداع في مجموعتي «سيرة نعل» و«من أحاديث القرى» عبد الله محمد الناصر محمد عدنانني

قراءات

- 117 الحجاج في خطاب جرير الشّاكي رضى عبد الله عليبي
- 133 بنية الحجاج وآليات بيانها في سورة «النبأ» (دراسة تطبيقية) أمير فاضل سعد العبدلي
- 151 سمات التلاقي والتناهي بين الأسلوبية والبلاغ طاطة بن قرماز
- 171 مَوْتُ مُخْتَلَفٌ: رواية الوريث الإشكالي مَنْ أَنَا؟ وكيف للذات أن تستردّ ذاتها؟ حسن المودن

دلالات

- 187 أحمد المتوكل الوظيفية وهندسة الأنحاء
- 207 صابر الحباشة منظورات نقدية للاشتراك الدلالي ونظرياته (راستيه- ستيفنس- ريمر)
- 229 جمعة صبيحة الحراك المصطلحي البلاغي إلى حدود القرن الخامس للهجرة
- 247 سليمان حسين العميرات أثر الفراء في تأسيس البناء البلاغي العربي

ترجمات

- 269 حافظ إسماعيلي علوي اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات
- 291 إبراهيم عامر الدراسة الإدراكية للضن واللغة والأدب

الحراك المصطلحي البلاغي إلى حدود القرن الخامس للهجرة (دراسة في ضوء علم المصطلح الحديث)

جمعة صبيحة

جامعة قرطاج

Sbiha.djema@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2017 / 02 / 04 م

تاريخ القبول: 2017 / 03 / 10 م

الملخص:

يتنزل عملنا في دائرة المشاغل الفكرية التي تتعلق بالدلالة والخطاب. وقد سعينا من خلاله إلى النظر في وضع المصطلح البلاغي في التراث العربي الأصيل، متوسلين في ذلك بما وصلت إليه أيدينا من مراجع حديثة مناسبة لهذا البحث تتعلق أساسا بعلم المصطلح. وقد تبين لنا ونحن نستقرئ المباحث اللغوية في التراث أن الباحثين القدامى لم يكن لهم تمثّل واضح للمصطلحات البلاغية إذ كان وضع المصطلح مضطربا وكانت المفاهيم والتعريفات لديهم متداخلة ومختلفة، ولكن رغم ذلك فقد تمكّن القدامى من إنتاج رصيد مصطلحي بلاغي هامّ تميّز بحركيّة المفهوم وديناميته وذلك إلى حدود القرن الخامس للهجرة، اتخذته المحدثون معينا أساسيا في وضع قواميسهم ومعاجمهم لاسيما أمام زحف المصطلحات اللسانية الحديثة التي هي في الأصل محصول عديد النظريّات اللغويّة المتتالية خصوصا فيما يتعلّق منها بعلوم الدلالة وتحليل الخطاب. وجعلوا من البحث المصطلحيّ علما قائم الذات وسموه بـ «علم المصطلح» باعتباره دراسة تطبيقية مرفولوجيّة للمصطلح في علاقته بمفهومه.

الكلمات المفتاح:

الحراك - الدلالة - الخطاب - المصطلح البلاغيّ - علم المصطلح - التراث - المفهوم - المرفولوجيا.

Rhetorical lexical movement until the end of the fifth century: A semantic study

Djemaa Sabiha

Carthaj University. Tunisia

Sbiha. djemaa@gmail.com

Abstract:

Our work is situated within the intellectual activities of discourse and rhetoric. In this work, we are trying to scrutinize rhetorical lexis in the traditional heritage, in the light of recent literature on lexical sciences. We have realized that classical scholars did not use to have a clear representation of rhetorical semantics. The study of lexis used to be fuzzy and the concepts were different. Despite this fact, classical scholars were able to produce important lexical and semantic work characterized by the movement of lexis till the fifth century. Recent scholars have been using it as an important reference in their encyclopedic works, especially with the advance of recent linguistic vocabulary resulting from different linguistic theories that are related to semantic studies and discourse analysis. They have rendered lexical research a well-established science labeled “Lexical science “ as it is a practical morphological study of the term related to the concept.

Keywords:

Movement – Lexis – Discourse – Rhetorical lexis – Lexical science – Heritage –
Concept – Morphology.

البلاغي أنّ هذا التفكير يقوم على جهاز مصطلحيّ شأنه في ذلك شأن كلّ علم. فالمصطلح يمثل «صورة مكثفة للعلاقة العضوية القائمة بين العقل واللغة ويتصل أيضاً بالظواهر المعرفية. والمصطلحات في كل علم من العلوم هي بمنزلة النواة المركزية التي يمتد بها مجال الإشعاع المعرفي ويترسخ بها الاستقطاب الفكري»⁽²⁾. ونشاط القدامى في وضع مصطلحات علم البلاغة دليل على استيعابهم ذلك العلم وغيره من العلوم والفنون، لوعيهم بقيمة المصطلح في تحقيق التواصل من جهة وفي توحيد المعارف من جهة. والبحث في المصطلح متواصل إلى اليوم حتى غدا علما مكتملا هو «علم المصطلح» la terminologie وهو من العلوم اللغوية التطبيقية المتطورة جداً يُعنى بدراسة المصطلح دراسة مورفولوجية مجردة وفي ارتباطه بالمفهوم الذي يعكسه. وقد حدّد فوستر E. Wuster مكان علم المصطلح بين أفراد فروع المعرفة بأنه مجال يربط علم اللغة بالمنطق ويعلم الوجود (الانطولوجيا) ويعلم المعلومات وبفروع العلم المختلفة⁽³⁾، «المصطلحات العلمية... عبارة عن مجموعة من الكلمات التي تم الاتفاق على استعمالها... لتقوم بوظيفة تتمثل في تجسيد نتائج البحث ووضعها في قالب لغوي يضمن تواصلها فعلاً ومفيداً بين مختلف فئات المستعملين»⁽⁴⁾. وذلك يعني أنّ تحديد مفاهيم الكلمات أو المصطلحات في أي علم أو معرفة يجعل نظام ذلك العلم أو تلك

إنّ مسألة المصطلح البلاغي في التراث العربي مسألة معقدة حسب تقديري، نظراً إلى تعدّد مفاهيم المصطلح الواحد وتشعبها واختلاف سبل تعريفها وتشبّثها وتراكم موادّها في كتب اللغويين ومصنّفاتهم ممّا جعل المصطلحات لا ترتقي إلى أن تكون علمية دقيقة تضبطها معاجم وقواميس إلاّ في فترة متأخرة. ويعود سبب اضطراب وضع المصطلح في التراث العربيّ إلى الاختلاف في استعماله وطرق صوغه. لذا لم نكن نجد لدى القدامى توافقاً جذرياً في تعريف المصطلحات البلاغية واللغوية عموماً.

وما زال هذا الاضطراب في وضع المصطلح متواصلاً إلى يومنا هذا⁽¹⁾ ولعلّ الأسباب في ذلك عديدة ويرتبط أهمّما باختلاف مرجعيات تكوين اللغويين العرب قدامى ومحدثين، فالجاحظ على سبيل المثال يغلب على تكوينه الطابع الأدبيّ الفنّي ويغلب على عبد القاهر الجرجاني تكوينه النحويّ، وتلك الاختلافات في التكوين ولو نسبياً تؤدّي إلى اختلافات في الرؤى والتصوّرات وإن كان ذلك جزئياً. ولكن رغم هذه الاختلافات فقد أنتج القدامى رصيذاً مصطلحيّاً نحويّاً وبلاغياً هاماً أصبح مورداً ينهل منه المحدثون لوضع قواميسهم ومعاجمهم لاسيّما أمام زحف المصطلحات اللسانية الحديثة التي كانت محصول عديد النظريات لاسيّما فيما يتعلّق منها بعلوم الدلالة وتحليل الخطاب وغيرها من العلوم.

تبيّن لنا من خلال البحوث في مجال التفكير

(2) المسدي (عبد السلام)، قراءات مع الشابي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون، ص 162.

(3) حجازي (محمود فهمي)، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 17.

(4) خطاب (أحمد)، المصطلحات العلمية وأهميتها في مجال الترجمة، العلوم الطبيعية كنموذج «في الترجمة العلمية، ص 185 203.

(1) انظر: المسدي (عبد السلام)، قاموس اللسانيات، ص 72 (مثلاً) مصطلح Linguistique

المعرفة متماسكا ويوفّر لغة مشتركة بين الباحثين في ذلك المجال لها ضوابط وحدود علمية.

ويمثّل ذلك الجهاز المصطلحي مفاتيح كل علم ويمثّل كذلك لغته الصوريّة التي تعبّر عنه، فهو «جزء مهم من اللغة كما في كل اللغات المعاصرة، باعتبارها مفاتيح المعرفة الإنسانية في شتى فروعها، ووسيلة التفاهم والتواصل بين الناس في مختلف المجالات العلمية والعملية»⁽¹⁾. ولكن ما يميّز الجهاز المصطلحي لعلم البلاغة والنقد، أنّ مفاهيمه خضعت لكثير من التحوّل والتطوّر والاختلاف فغابت الدقّة والوضوح بشأن المصطلح الواحد إلى حدود عبد القاهر الجرجاني الذي يادخاله النحويّ التفكير البلاغيّ عرّج بالمصطلحات البلاغيّة نحو وجهة لم تكن ربّما منتظرة، هي وجهة النحول لذا تحوّلت مضامين العديد من المصطلحات؛ إذ أخذت؛ تتشربّ مفاهيمها من مجال النحو. وهذه المسألة شغلت الكثير من الدارسين الذين اتّجهت همّتهم إلى وضع تحديد دقيق للمصطلحات البلاغيّة، فالجاحظ مثلا نراه يؤكّد في كلامه قيمة تدقيق الألفاظ والمصطلحات في قوله التالي: «... وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا بذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع»⁽²⁾. فالمصطلح بهذا المعنى مرتبط بوضوح المفهوم الذي يدلّ عليه إذ إنّ: «استعمال اللغة بعناية وبطريقة صحيحة، وسيلة فعالة للمعاونة على

التفكير القويم المباشر؛ ذلك أنه من الضروري لكي تعبّر بالكلمات عما نعنيه بالضبط أن تكون أذهاننا ذاتها مدركة تماما لما نعنيه، فنحن نفكّر ونستدلّ عن طريق الكلمات»⁽³⁾.

ثمّ إنّ المصطلح الواحد تتحدد مفاهيمه بين بقيّة المصطلحات المنتمية إلى ذات التخصّص، كما أنّ المصطلح يتسم في بداية ظهوره بضباية التحديد وتعدّد المفاهيم، لذا لا يكون المصطلح علميّا إلاّ إذا اكتملت المفاهيم والحدود فيكون له حقله المعرفي الذي يميّزه في إطار النظام الذي يكونه التخصّص. وبذلك يصبح المصطلح ذا سمات تميزه ويكون دالاّ مباشرا دقيقا ومحدّدا. ولا يتحقّق ذلك إلاّ بعد رحلة طويلة يمرّ بها المصطلح مفهوما ومضمونا.

ثمّ إنّ الحقول المعرفية تظلّ تتحدد دائماّ بتحديد دلالات مصطلحاتها واستقرار مفاهيمها، وبقدر رواج المصطلحات وشيوعها وتقبل الباحثين والمهتمين لهذا المصطلح أو ذاك، يحقق العلم أو «الحقل المعرفي» ثبات منهجيته⁽⁴⁾.

ونظرا إلى تعدّد المصطلحات في البلاغة القديمة التي اختلفت مفاهيمها لدى أصحابها لاسيما منها التشبيه والاستعارة وكذلك اللفظ والمعنى والنظم على وجه التخصيص باعتبارها من المسائل الأساسية لدى علماء اللغة بوجه عام، فقد ارتأينا أن نركّز اهتمامنا على المصطلحات الثلاثة الأخيرة الأكثر شيوعا في تأليف اللغويين

(3) بيفريديج (و.إ.)، فنّ البحث العلمي، ترجمة زكريا فهمي، مراجعة د/ أحمد

مصطفى أحمد، ص15.

(4) السيد (نور الدين)، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي

الحديث، ج1، ص13.

(1) الخطيب (أحمد شفيق)، حول توحيد المصطلحات العلمية، ص8.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص139.

أمّا مصطلحا اللفظ والمعنى عند عبد القاهر فقد أصبحا ينضويان تحت مفهوم النظم ويمثلان عنصريين من عناصره.

وما لفت انتباهنا أيضا في تفكير عبد القاهر أنه أقام نظرية النظم على قوام نحوي يرى فيه فهم النصّ وبناء الكلام لا يكون إلا عن طريق النحورداً على من يرى المنطق هو الأساس مثلما أعلن عن ذلك في الدلائل وسنفسره في غضون بحثنا.

نضيف إلى ذلك أن عبد القاهر جعل للنحو مفهوماً جديداً لا يقف عند حدّ الإعراب مثلما عهدناه لدى سابقيه من النحاة والبلاغيين.

كلّ هذه العوامل ستجعل من عملنا دراسة تاريخية دلالية للمفاهيم التي أحاطت بمصطلح النظم والكشف عن مظاهر النمو فيه حتى نصل إلى مفهومه لدى عبد القاهر الجرجاني.

لذلك فإنّ منهج عملنا سيكون كالآتي: ننظر في المصطلح ثمّ مدلوله ثمّ مفهومه عند فرق مختلفة من متكلمين وأدباء ونقاد وبلاغيين ونحاة وبهذا المنهج سنكشف عن مظاهر النمو والحراك لذلك المصطلح.

أمّا الغاية التي نروم تحقيقها من هذا البحث تأكيد التواصل والحراك المصطلحي والكشف عن التطور الذي يحصل في مفاهيم المصطلحات مما يثبت أمراً علمياً هاماً هو حياة اللغة باعتبار قبول مدلولات دوالها للتطور والنمو من جهة وإثبات أنّ وضع المصطلح لأيّ فرع من فروع اللغة يعطي صبغة علمية للغة ويسهم في عقلنتها وتوحيدها بين مستعمليها.

ونعني بها «النظم» و«اللفظ» و«المعنى». فما يميّز هذه المصطلحات أنّها اكتسبت معاني جديدة في تفكير عبد القاهر وشهدت تطوّراً في دلالاتها تعكس تجربة عمل العقل عبر الزمن والتاريخ والحرص على البحث والمعرفة، ويتنزّل هذا الأمر اليوم فيما يسمّى بعلم تطوّر دلالات الألفاظ ونرى أثر تلك التطوّرات في الأوجه التالية:

(أ) من جهة المفهوم أو التصوّر concept

(ب) من جهة العلاقات

رأينا أن نبدأ بحثنا من النظر في أهمّ المصطلحات البلاغية التي تميّز بها تفكير عبد القاهر والتي تربطه بسابقيه من المفكرين نعني بها النظم واللفظ والمعنى. فهذه المصطلحات حملت مفاهيم جديدة لم تكن معلومة قبل عبد القاهر وتكاد تكون مختلفة تماماً عمّا وضعه لها الرجل، لذا فإنّ أهمّ الأسباب التي دفعتنا إلى تخيير موضوع بحثنا هذا والذي قصدنا من خلاله الوقوف عند تفكير عبد القاهر الجرجاني هو التحول المفهومي الجذري والحراك الدلالي الذي حقّقه في مفاهيم تلك المصطلحات ممّا كان له انعكاس كبير على جوهر التفكير البلاغي لاسيّما في بنائه البلاغة على النحو.

لقد عرف مصطلح «النظم» عند عبد القاهر نقلة نوعيّة عندما دقّق له المفهوم وعندما جعله نظرية لم نعهدها مع سابقيه من البلاغيين أو النقاد أو النحاة وكلّ من تناول النظم مصطلحاً في تفكيره. فقد كان النظم عند هؤلاء مجرد مصطلح يُذكر باعتباره عنصراً من عناصر البلاغة إلى جانب عناصر أخرى لعلّ أهمّها عنصري اللفظ والمعنى.

وأخيراً يمكن القول إنَّ للمصطلح قيمة هامة تعكس لنا قدرة الإنسان على التجريد والسيطرة على محيطه بواسطة أنظمة المفاهيم التي يشكلها⁽¹⁾.

إنَّ دخول علم المنطق في الثقافة العربية أدى إلى تععيد عديد العلوم وحتى اللغة التي فقدت بذلك العمل كلَّ بعدها الإنشائي عندما أصبحت تتجسد في معايير ومقاييس، وأصبحنا نجد فيها علوماً شتى مثل علم النحو الذي هو مجموعة من القواعد والقوانين والمصطلحات وعلم الأدب وعلم النقد وعلم البلاغة وغيرها كثير، فكلُّ علم من هذه العلوم له مصطلحات خاصة به. وحسب طبيعة موضوع بحثنا سنركّز اهتمامنا على «المصطلح البلاغي» إلى حدِّ عبد القاهر الجرجاني، وتحديدًا مصطلح «النظم» لما مثله من إشكال لدى مستعمليه من الباحثين، لذا سنتبيّن مضامين هذا المصطلح وأهمَّ المفاهيم التي عرفها إلى حدِّ استقراره عند الجرجاني.

2. مصطلح «النظم» قبل عبد القاهر الجرجاني:

اعتمدنا في هذا المجال ما وضعه الأستاذ توفيق الزبيدي في كتابه «جدلية المصطلح والنظرية النقدية». فقد بيّن أنّ النظم كمصطلح مرّ بثلاث مراحل هي «وضع الكمون ووضع التولّد ووضع الضبط»⁽²⁾.

ويرى الأستاذ الزبيدي أنّ وضع الكمون «يشكّل المولّدات الرئيسية لمصطلح النظم... ونواة تلك

تلك هي أهمّ النقاط التي سنحاول التطرّق إليها في بحثنا مركّزين اهتمامنا على تفكير عبد القاهر الجرجاني حيث استقرَّ مصطلح النظم عنده وأصبح فعلاً ينسب إليه.

1. المصطلح عقلنة للغة :

تعتبر قضية المصطلحات قضية هامة أثارت اهتمام العرب منذ القديم لاسيما مع ظهور حركة الترجمة حيث أصبحوا يبحثون عن المصطلحات المناسبة في تعريب عديد العلوم والفنون الدخيلة.

إلا أنّ هذه القضية أصبحت تمسّ العلوم العربية ذاتها والفنون أيضاً وأصبحوا يرون أنه لا بدّ لكلِّ علم من مصطلحات تمثّل مفاثجه وتجعله يتميّز عن غيره من العلوم. من هذا المنطلق أصبح السجلّ المصطلحي هاماً جداً فهو يمثّل الكشف المفهومي لكلِّ علم. كذا أصبحت اللغة مجموعة من المصطلحات والعلامات وأصبح كلُّ علم يصطنع لنفسه معجماً خاصاً من اللغة يعبر به عن نظامه.

والغاية من وضع الجهاز المصطلحيّ تتمثّل في السعي إلى التحكم في الظواهر والقبض عليها في إطار نظام علمي تعبيدي يمثّل لغة علمه الصورية الشكلية. ولا غرابة في ذلك خاصة بدخول علم المنطق الذي جاء ليقنن كلَّ العلوم والفنون وبهذا المنحى أصبحنا نجد شيئين: «العلم ولغة العلم» التي تتمثّل في جهازه المصطلحي. فالمصطلح إذن هو علامة مجردة ذات مفهوم محدّد. وقيّمته أنّه ينظّم العلوم ويمكن من توحيد الدوال بين لغات مختلفة.

(1) مجموعة من الأساتذة الجامعيين، تأسيس القضية الاصطلاحية، ص 97.

(2) المرجع نفسه، ص 487.

ذكر أيضا مصطلحي «التأليف» و«التلاؤم» وعن مزية التلاؤم يقول: «والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل للمعنى له في النفس بما يرد لها من حسن للصورة وطريق الدلالة»⁽⁸⁾. ونجد عند الخطابي أيضا مصطلحات عديدة متعلقة «بالنظم» في كتابه «بيان إعجاز القرآن»، فمن بين هذه المصطلحات نذكر: النظم المنظوم الانتظام الائتلاف التأليف التلاؤم... وغيرها كثير⁽⁹⁾ وبيّن الزبيدي أنّ «هذا التنوع في المصطلح يعود في أغلبه إلى وظيفة التفسير أو التأكيد بالترادف»⁽¹⁰⁾ ومن بين ما أورده الخطابي حول إعجاز القرآن في نظمه قوله: «ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشدّ تلاؤما وتشاكلا من نظمه» وقوله أيضا: «وجد معظم كلامه مبنيا مؤلفا»⁽¹¹⁾.

ومن المتكلمين أيضا الذين استعملوا المصطلحات المعبرة عن النظم نذكر الباقلائي في كتابه «إعجاز القرآن» فقد ذكر مصطلح النظم نفسه والضمّ والتأليف والرصف والجمع والنسج والتلاؤم⁽¹²⁾. ومما أورده قوله: «وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرّف فيه من الوجوه التي قدّمنا ذكرها على حدّ واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف»⁽¹³⁾.

كذا نكون قد تعرّضنا إلى أهمّ المصطلحات المعبرة عن مفهوم النظم قبل عبد القاهر

المولّدات هي ما جاء في النصّ القرآني من وصف لحكمة الله في الكون تمثلت في إقامة نظام كوني دقيق الحركة، محدّد المقاصد⁽¹⁾ وهذه الآيات منها ما خصّ الإنسان⁽²⁾. لإظهار النظام الكوني، ومنها ما خصّ الطبيعة⁽³⁾ ومنها ما جاء عن قدرة الله على تحويل الحركة دون أن ينتقض النظام⁽⁴⁾.

فالله تعالى بيّن إذن، من خلال آياته أنّ الوجود يحكمه النظام ومن هنا تولّدت فكرة النظام عند المفكرين العرب وإن خلا النصّ القرآني من مادّة «ن.ظ.م» على حدّ عبارة الزبيدي: «مما يجعلنا نقول بأنّ مصطلح النظم في هذا المستوى إنّما هو في وضع كمون لا يظهر منه إلا المتصور الذي تبرزه تلك الصور التي حوتها الآيات المذكورة»⁽⁵⁾.

أما الوضع الثاني الذي وصفه الزبيدي «بالتولّد» فهو موجود في الخطاب الإنساني عندما حاول الباحثون النظر في أسباب الإعجاز في القرآن وعندما درسوا النصّ الأدبي.

فبالنسبة إلى دارسي الإعجاز أي المتكلمين فقد عبّروا عن مفهوم «النظم» بمصطلحات عديدة، فمثلا الرماني ذكر مصطلح «النظم» عندما تحدّث عما يسميه «تعديل النظم»⁽⁶⁾ قياسا على تعديل الحروف في التأليف⁽⁷⁾. مثلما

(1) انظر الآية 6 من سورة آل عمران وآية 5 من سورة الحج والآيات 8-7-6 من سورة الانفطار.

(2) انظر آية 22 من سورة البقرة.

(3) انظر آية 27 من سورة آل عمران.

(4) الزبيدي (توفيق): جدلية المصطلح والنظرية النقدية، ط1، ص488.

(5) الرماني، التكت في إعجاز القرآن، ص107.

(6) المصدر نفسه، ص107.

(7) المصدر نفسه، ص94.

(8) المصدر نفسه، ص96.

(9) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص70-8-39-36-35-28-27-26.

(10) المصدر نفسه، ص493.

(11) المصدر نفسه، ص35.

(12) الباقلائي، إعجاز القرآن، ص117-116-115-53-52-47-45-21.

(13) المصدر نفسه، ص243-196-178-175-124.

(13) المصدر نفسه، ص55.

فمن الأوائل الذين أمحوا إلى فكرة النظم في علاقته باللفظ والمعنى وهو يبحث في قضية الإعجاز القرآني نذكر الخطابي (388 هـ) الذي بين وهو يحلل بعض الآيات ويحاول فهمها أن الكلام يقوم على ثلاثة عناصر هي لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لها ناظم. فهو يقول: وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه».

ويضيف قائلاً: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني»⁽³⁾.

إنّ الإعجاز حسب الخطاب يتأتى من اجتماع عناصر ثلاثة هي الألفاظ في فصاحتها وعدوبتها والمعاني في صحتها والنظم في تأليفه وتلاؤمه مثلما وضّحت ذلك أقواله.

وحدّد الخطابي خصائص اللفظ، فهو يرى أنّ البلاغة إنما تتحقق من وضع كل لفظ في موضعها الأخص بها من الكلام لأنّ تغير مكانها يؤدي إما إلى تغير المعنى فيفسد بذلك الكلام وإما إلى ذهاب الروق الذي يكون معه سقوط البلاغة. من هذا المبدأ تبرز بلاغة النظم بما هو دقة اختيار اللفظ في موضعه⁽⁴⁾.

ولكن تتطوّر فكرة النظم فيما بعد عند الخطابي فتجاوز دقة اختيار اللفظ في موضعه

الجرجاني لدى دارسي الإعجاز. ولكن سنتبيّن ونحن ندرس مصطلح النظم عند عبد القاهر أنه شتان ما بين مفهوم النظم عنده ومفهومه عند هؤلاء، فنظّمهم لا معنى له، لا مفهوم له، فهم يضعون المصطلح دون توضيح له أو تدقيق كأنه جاء عرضياً فانظر إلى أي واحد من هؤلاء المتكلمين، فهل تجده قد فسر لنا مفهوم النظم؟ فهو عندهم مجرد كلمة ولكن عند عبد القاهر فهو غير ذلك تماماً وسنوضّحه لاحقاً في غضون بحثنا؛ إذ سنرى الفرق بين «نظم» عبد القاهر الذي له أسسه النحويّة وشروطه وبين النظم لدى هؤلاء إذ جاء يتردّد حسب حمّادي صمود بين معنيين هما:

- المعنى الاصطلاحي... وهو أسلوب الكتابة وطريقة التأليف بين وحدات اللغة ومنهج تعليق بعضها ببعض...
- ومعنى أفانين القول وأجناس الأدب وأنماط الكتابة⁽¹⁾.

يقول صمود: «الخطابي استعمل الكلمة أو ما اشتق منها اثنتي عشرة مرّة وأجراها على «المعنيين»، ولم يخرج الباقلاني في استعماله عن هذه الشبكة...»⁽²⁾. نتبيّن ممّا سبق أنّ اللفظ المعبر به عن النظم واحد ولكن معانيه مختلفة عند من سبق الجرجاني في تناول موضوع الإعجاز.

ولكن إلى جانب «النظم» أحد أصول الإعجاز القرآني، تناول الدارسون قبل عبد القاهر أصولاً أخرى لعلّ أهمّها ما تعلّق بصفات «اللفظ» و«المعنى».

(3) بيان إعجاز القرآن، ص 27.

(4) المصدر نفسه، انظر تحليله للآية 6 من سورة قصص، والآية 4 من سورة المؤمنون في كتابه، ص 43.

(1) صمود (حمّادي)، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 40.

(2) المرجع نفسه، ص 41.

أما حديثه عن اللفظ والمعنى فهو كثير وتكرّر ذكر هذين المصطلحين كثيرا أيضا في البيان وهو يحدّد مقاييس الشعر فمن أقواله مثلا «المعاني مطروحة في الطريق» و «إنما الشعر ضرب من النسخ وجنس من التصوير»⁽⁴⁾.

فما نلاحظه في هذا الكلام وجود كلمة «نسخ» و«تصوير» وهما ممّا يعبر عن معنى النظم وعن معنى اللفظ لديه أيضا، لأنّ اللفظ حسب الجاحظ يعني طريقة التعبير؛ أي العبارة التي بها نصنع المعاني.

وممّا يميّز الجاحظ أنه يفاضل بين الألفاظ والمعاني وهذه الفكرة استمرت طيلة ثلاثة قرون تقريبا حتى جاء عبد القاهر الجرجاني الذي صنع الحدث بالمناسبة بينهما عن طريق الأغراض والمقاصد والنظم هو الذي يضمّها جميعا. ومن المصطلحات أيضا التي نجدها عند أهل الأدب المعبرة عن معنى النظم مصطلح «الحوك» وابن فارس يعرف الحوك: «الحاء والواو والكاف ضمّ الشيء إلى الشيء ومن ذلك حوك الثياب والشعر»⁽⁵⁾ ونجد لديه أيضا مصطلح «البناء» الدال على معنى «النظم» يقول «البناء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضمّ بعضه إلى بعض»⁽⁶⁾.

وممّا يعبر به العسكري (ت 396 هـ) عن معنى النظم قوله أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل والخطب والشعر، وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب»⁽⁷⁾.

(4) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(5) الرازي (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة، 2/121.

(6) المصدر نفسه، 1/202.

(7) العسكري (أبو هلال)، الصناعات، ص 179.

لتشمل كلّ نظام الكلام وهو في تركيب كامل تتعلق اللفظة فيه بمن سبقها ومن لحقها⁽¹⁾.

ونستنتج ممّا سبق أنّ البلاغة عند الخطابي تتحقق بتوفّر ثلاثة عناصر هي النظم واللفظ والمعنى وهي مصطلحات ذكرها الخطابي صراحة في كتابه ولكن ليمثّل كلّ واحد منها عنصرا من البلاغة.

ومن المتكلمين أيضا الذين استعملوا مصطلحي اللفظ والمعنى نذكر القاضي عبد الجبار (415 هـ) الذي بيّن في كتابه «إعجاز القرآن» أنّ الكلام يفصح بأمرين: جزالة لفظه وحسن معناه، ونذكر أيضا الرّماني من قبله الذي عرف البلاغة بأنها «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»⁽²⁾.

تلك أهمّ مصطلحات البلاغة التي تردّت في كتب الإعجاز تعكس تقارب البحوث من جهة الأفكار والرؤى والتصوّرات وتعكس أيضا حراكا في مستوى الدلالة والمفهوم وتواصل معرفيا بين الباحثين.

و ذات المصطلحات البلاغية تكرّرت في كتب دارسي الأدب قبل عبد القاهر نعني بها النظم واللفظ والمعنى. وسنحاول أن ننظر في المفاهيم التي حملتها تلك المصطلحات في مجال الأدب.

من المصطلحات التي عبّر بها القدامى عن «النظم» في دراسة النصّ الأدبي ما أورده الجاحظ (ت 255 هـ) من حديث حول مفهوم الكلام مثل كلمة «مؤتلف» و«متجاور» و«النظام»⁽³⁾.

(1) المصدر نفسه، انظر تحليله للآيات 19-18-17-16 من سورة المدثر.

(2) انكت في إعجاز القرآن، ص 76-75.

(3) البيان والتبيين، ص 67.

وغيرهما وكذلك اللفظ والمعنى يذكران منفصلين والاهتمام كان موجها أكثر نحو اللفظ وينسبون كل المزية إليه.

هكذا تبيّننا أهمّ المصطلحات المعبرة عن النظم واللفظ والمعنى قبل عبد القاهر وأهمّ معانيها ومفاهيمها. فكيف عبّر الجرجاني عنها في مؤلفاته؟

3. مصطلح النظم عند عبد القاهر الجرجاني

يصل مصطلح النظم عند عبد القاهر إلى مرحلة «الضبط» مثلما عبر عن ذلك الزيدي وهي المرحلة النهائية تقريبا التي وصل إليها ذلك المصطلح في البلاغة القديمة.

انطلق الجرجاني وهو يؤسس لنظرية «النظم»، من التراث. فهو يقول مبرزاً قيمة التراث في نشأته وتواصله: وإذا كنا نعلم أنّ استمداد الجاحظ وأشباه الجاحظ من كلام العرب والبلغاء الذين تقدّموا في الأزمنة، وأنهم فجروا لهم يبايع القول فاستقوا، ومثلوا لهم مثلاً في البلاغة، فاحتذوا، إذن لم يبلغوا شأواً ما بلغوا، ولم يدروا لهم من فروع القول ما درّ، ولو أنّ طباعاً لم تشرب من مائهم ولم تغد بجناهم، ولم يكن حالهم في الاكتساب منهم والاستمداد من ثمار قرائحهم، وتشمّم الذي فاح من روائحهم، حال النحل التي تغتذي بأريج الأنوار وطيب الأزهار، وتملاً أجوافها من تلك اللطائف. إذن لكان الجاحظ وغير الجاحظ في عداد عامة زمانهم»⁽³⁾.

ومن مشتقات (ن.ظ.م) مصطلح النظام «الذي ذكره ابن وهب وهو يتحدّث عن أركان البلاغة فيقول: «وزدنا حسن النظام لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى ولا يحسن ترتيب ألفاظه وتصيير كل واحدة منها مع ما يشاكلها، فلا يقع ذلك موقعه»⁽¹⁾.

نلاحظ في هذا الكلام حضور المصطلحات الثلاثة المؤسّسة للبلاغة وهي «حسن النظام» و«حسن ترتيب الألفاظ» ل«يحسن المعنى»، ومما أورده العسكري حول مفهوم البلاغة قوله: «البلاغة كلّ ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة، لأنّ الكلام إذا كانت عبارته رتّة ومعرضة خلقاً لم يسم بليغاً، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى»⁽²⁾.

تلك هي أهمّ المصطلحات التي عبّر بها أصحابها عن معنى النظم في النصوص الأدبية قبل عبد القاهر ومنها مصطلح النسج والحوك والضمّ والنظام... ومن المصطلحات التي عبّرت عن معنى اللفظ نجد مصطلح «التصوير» والصورة و«الصياغة» و«المعرض» و«العبارة» وغير ذلك كثير. أما مصطلح المعنى فهو مذكور بلفظه كثيراً ولكن كثيراً ما تعلق بمصطلح الفهم والإفهام والوضوح والكشف.

إلّا أنّ ما نلاحظه أنّ تلك المصطلحات كلها جاءت متفرّقة لا رابط بينها فالنظم يُذكر وحده معزولاً ومن معانيه الشائعة التلاؤم والتأليف

(1) الزركشي (بدر الدين)، البرهان في علوم القرآن، ص 77.

(2) العسكري، الصنائع، ص 16.

(3) الرسالة الشافية، ص 136-135.

تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو»
على حدّ تعبيره⁽³⁾.

ويتخذ النحو عند عبد القاهر معنى جديدا
مخالفا لما كنا نألفه لدى سابقيه وهو اعتبارهم أنّ
النحو يقف في حدود الإعراب. في حين أنّ النحو
عند الجرجاني يشمل القوانين والمعاني والوجوه
والفروق من تقديم وتأخير وحذف وفصل ووصل
وزيادة وإضمار وغيرها. وكلّ ذلك هو «النظم»
الذي يكون بحسب المقاصد والأغراض وبحسب
ترتيب المعاني في النفس.

ذلك هو المفهوم الجديد الذي وضعه الجرجاني
لمصطلح «النظم» وقد أحاط عبد القاهر هذا
المصطلح بمجموعة من المصطلحات المشتقة من
جذره (ن.ظ.م) مثل «كلم منظومة» و«الناظم»
ونظم⁽⁴⁾. وقد ذكرها أدوات يعبر بها عن طرق
إنتاج الكلام وإنشائه.

4. ردود الجرجاني؛

سبق أن ذكرنا أنّ نظرية النظم جاءت ردّا على
عدّة قضايا رفضها عبد القاهر لاسيما ما أورده
أصحاب اللفظ حول مفهوم «النظم» وما أورده
حول علاقة اللفظ والمعنى.

فقد رفض الجرجاني القول بنظم الحروف
وأنّ الإعجاز يكمن في اللفظ وهو أصوات مسموعة،
ودعا في مقابل ذلك إلى نظم الكلم فهو يقول:
«ومما يجب إحكامه عقب هذا الفصل الفرق بين

إلا أنّ هذا لا يمنع أن يكون للرجل مواقف
سلبية ردّا على عدّة أفكار منها رفضه لموقف
المعتزلة القائلة بالصرفة في الإعجاز.

ثمّ ردّه على من يعتبر الإعجاز في اللفظ وهو
أصوات مسموعة، (أهل اللفظ) (الجاحظ).

وردّه أيضا على من يرى الإعجاز في معاني
المفردات. مثلما يردّ أيضا على من يرجع الإعجاز
إلى الضمّ والتأليف على طريقة مخصوصة (مثال
القاضي عبد الجبار).

انطلاقا من هذه الأفكار بنى عبد القاهر
تصوّره «لنظم». وأوّل تجديد وضعه عبد القاهر
أنه جعل «النظم» «نظرية» ومصطلحا قائما بذاته
له مفهومه الذي يميزه، هذا المفهوم أسّسه على
النحو فسأهم بذلك في تطوّر البلاغة العربيّة؛ إذ
دخل النحو أمدها بعلم المعاني وهو علم أصبحنا
نرى صده اليوم في ما يسمّى بـ«علم الدلالة».
واتجه عبد القاهر إلى النحو كأساس للرفع من
مستوى الخطاب وأفسح المجال بنظريته لعدد من
الظواهر التي اعتمدها النحاة عندما عرّف النظم
بأنه «توخي معاني النحو في معاني الكلم»⁽¹⁾.

إنّ أوّل تجاوز حقّقه الجرجاني هو أنّه جعل
مفهوم النظم أكثر دقّة ولم يتركه غامضا مثلما
هو الأمر لدى سابقيه وهذا التعريف للنظم نجد
عبد القاهر قد كرّره في الدلائل بطرق عدّة⁽²⁾.
ويجعل له حدودا تتمثّل في معرفة قوانين النحو
ومناهجه ووجوهه وفروقه؛ إذ «ليس النظم إلاّ أن

(3) المصدر نفسه، ص 117.

(4) المصدر نفسه، ص 94.

(1) الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز.

(2) المصدر نفسه، نظر: ص 400-398-359-122-121.

وغيرها من الخصائص التي أسندها الجرجاني إلى اللفظ ورفضها وأكد بالحجج والأدلة أنّ كلّ تلك الخصائص إنما تسند إلى النظم.

وأما الفكرة الرابعة التي رفضها عبد القاهر والتي تتمثل في ردّ الإعجاز إلى الضم على طريقة مخصوصة فهي توجّه أساساً إلى القاضي عبد الجبار الذي قال: «اعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلم وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة»⁽⁶⁾، وكان ردّ عبد القاهر على هذه الفكرة بأن زاد توضيح هذه الطريقة وتفسيرها فيبين أنّ الضمّ أو النظم إنما يكون بتوخي معاني النحو في معاني الكلم. يقول الجرجاني وهو يشير بكلّ صراحة إلى القائلين بالضمّ على طريقة مخصوصة: «وذلك أنهم لما قالوا إنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، فقولهم بالضم لا يصحّ أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما لأنه لو جاز أن يكون مجرّد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة كان ينبغي إذا قيل ضحك خرج أن يحدث من ضمّ خرج إلى ضحك فصاحة وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يحدث من ضمّ الكلمة إلى الكلمة توخي معنى من معاني «النحو في ما بينها»⁽⁷⁾.

إنّ عبد القاهر يؤكد في كلامه أهمية التركيب في دراسة النظم ووجوهه وفروقه الدلالية يقول «مما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر

قولنا حروف منظومة وكلم منظومة. وذلك أنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها في ذلك بمقتضى رسماً في العقل اقتضى أن يتحرّى في نظمها ما تحرّاه... أمّا نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس...»⁽¹⁾.

وأما الفكرة الثانية التي رفضها عبد القاهر فتتمثل في القول بأنّ المزية تكمن في اللفظ دون المعنى مما أدى إلى الفصل والمفاضلة بينهما مثلما وجدنا ذلك عند الجاحظ الذي قال إن «المعاني مطروحة في الطريق... وإنما الشعر ضرب من النسخ وجنس من التصوير»⁽²⁾ في حين بيّن عبد القاهر أن البلاغة تتحقق من علاقة اللفظ بالمعنى؛ إذ «معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض»⁽³⁾ مثلما رفض أن تكون البلاغة في الألفاظ المفردة وهي مقطوعة عن النظام، يقول: «علمت أنّ الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقتيهما أوصاف راجعة إلى المعاني وإلى ما يدلّ عليه بالألفاظ دون الألفاظ أنفسها»⁽⁴⁾ ويضيف قائلاً: «إنّ المزية التي من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح، مزية تحدث من بعد أن لا تكون، وتظهر في الكلم بعد أن يدخلها النظم، وهذا شيء إن أنت طلبته فيها وقد جئت بها أفراد لم ترم فيها نظاماً، ولم تحدث لها تأليفاً طلبت محالاً»⁽⁵⁾.

(1) المصدر الإعجاز، ص 94.

(2) البيان والتبيين، ج 1.

(3) دلائل الإعجاز، ص 93.

(4) المصدر نفسه، ص 82.

(5) المصدر نفسه، ص 275. أنظر تحليله للآية «اشتعل الرأس شيباً».

(6) همداني (عبد الجبار)، المعنى في أبواب التوحيد والعدل، ج 16، ص 199.

(7) دلائل الإعجاز، ص 359.

من خلالها أنّ مفاهيم هذه المصطلحات شهدت تحوّلاً وتطوّراً هامّين يعكسان من جهة ضبايئة المفهوم ومن جهة أخرى جهد الباحثين في وضع العلوم وهو جهد نثمّنه لهم وجدير بالتنويه لأنّه يعكس حرص الباحثين على تحقيق استقرار وابتكار ضوابط علميّة تذهب بالحضارة العربية نحو التقدّم والازدهار ووضع معارف وعلوم قائمة الذات. لقد كان التطوّر من العام إلى الخاص ومن الغامض إلى الواضح ومن الشامل إلى المدقق حتى انتهى به الأمر إلى التنظير العلمي عند الجرجاني وأصبحنا نتحدّث فعلاً عن «نظرية» تتسبب إليه هي نظرية «النظم» لها موضوعها وقوانينها وأهدافها تتلخّص أساساً في آليات فهم النص وإنشاء الخطاب).

ولكن ما نؤاخذه عن الجرجاني أنّ مواقفه جاءت متناقضة تتردّد بين آراء القدامى وبين مراجعه الخاصّة خصوصاً فيما يتعلّق بتثاوية اللفظ والمعنى والعلاقة الجامعة بينهما فأحياناً نجدّه يتبنى مواقف سابقه التي ترى تبعية اللفظ للمعنى عندما يقول: «إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها»⁽⁵⁾. وفي قوله: «... اللفظ تبع للمعنى في النظم»⁽⁶⁾.

وأحياناً أخرى يؤكّد التلازم بين اللفظ والمعنى وذلك في قوله: «إنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يتصوّر أن يجب فيها نظم»⁽⁷⁾.

وكذلك الأمر فيما يتعلّق بالمعنى، فقد جاءت آراء الجرجاني تتردّد بين مفاهيم القدامى وبين

أنه لا يتصوّر أن يتعلّق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجرّدة من معاني النحو⁽¹⁾.

ثمّ بين أنّ علم النحو لا حدود له يقول: «اعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها»⁽²⁾.

فمن كلامه ذلك نبيّن أن النظم في نظر الجرجاني عالم واسع وطرقه عديدة ولكنها في الحقيقة تخضع لأمر هامّ هو مقصد الناظم ومقامه وترتيب معانيه في نفسه، ذلك هو مفهوم «النظم» عنده فهو مفهوم تحيط به مصطلحات من أصول نحويّة هي الإعراب والقوانين النحوية والأحكام والأصول والوجوه والفروق والمعاني النحوية. فالعنى عند الجرجاني هو معنى نحوي بالأساس يتحقّق في «النظم» الذي تعود إليه كل مزيّة وناظم الكلام هو المتحكّم في كلّ ذلك فهو العامل الحقيقي والفعليّ في كلّ عمليّة كلام أو تخاطب.

وإنّ العلاقة بين الألفاظ والمعاني إنما تقوم على التلازم والمناسبة حسب الأغراض والمقاصد والمقام «وليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع والوجوه والفروق» يحدثها لك التأليف ويقتضيها الغرض الذي تؤمّ والمعنى الذي تقصد»⁽³⁾.

تلك هي أهمّ المحطات⁽⁴⁾ التي مرّ بها مصطلح النظم واللفظ والمعنى إلى حدّ عبد القاهر الجرجاني حاولنا تحديدها من خلال استقراءنا لمؤلفات مفكرين لهم مشاغل علميّة مختلفة تبيّنا

(1) المصدر نفسه، ص 269.

(2) المصدر نفسه، ص 66.

(3) المصدر نفسه، ص 246.

(4) محمود (زكي نجيب)، حصاد السنين، ص 54.

(5) دلائل الإعجاز، ص 44.

(6) المصدر نفسه، ص 46.

(7) المصدر نفسه، ص 306.

ما تعلق الأمر بالمعجم اللسانيّة المتخصّصة التي تتطلب الوضوح والدقّة⁽²⁾.

ويعتبر مصطلح «المعنى» أو ما يُعبّر عنه اليوم *sémantique* من أكثر المصطلحات شيوعاً في التراث اللغوي والتفكير اللساني الحديث، وقبول «علم المعاني» في التراث بـ«علم دلالة المعاني» في الحديث، وتمّت مقابلة *Sémantique* *linguistique* اليوم بـ«علم المعاني اللغوي».

نستنتج من خلال هذه المقابلات المختلفة للمصطلحات التي تنزل في دائرة المعنى بين القديم والحديث، أنّ العمل في هذا المجال يحتاج إلى زيادة التدقيق والضبط. فقد أصبحنا اليوم نجد مصطلحات متعدّدة تدلّ كلّها على المعنى من ذلك عبارة «نظرية الحقول الدلالية» و«ثنائيّ الدلالة» و«مجال صرّيّ دلاليّ» و«تحوّل دلاليّ» وغير ذلك من المصطلحات.

وتبعاً لعلم الدلالة الحديث وضع اللسانيّون وعلى رأسهم سوسير مصطلحي *signifiant* و *signifié* «الدال والمدلول» يعبرون بهما عن ثنائيّة «اللفظ والمعنى» في التراث العربيّ. ولكنّ الإشكال حسب رأيي يتلخّص في تحديد مدى استجابة المصطلحات الحديثة العربيّة للمصطلحات القديمة لاسيّما وأنّ مصطلح اللفظ يتخذ معاني عديدة في التراث مثلما بيّنا آنفاً في بحثنا؛ إذ هو بين المفردة والتركيب أو الصياغة والعبارة لذلك لا بدّ حسب تقديري من مقابل مناسب يعبر عن المصطلح الجديد في التراث أو المصطلح القديم في الحديث لكن شرط تجنّب الإسقاط والبحث

رؤيته لها؛ إذ نجده يتحدّث عن المعنى المعجمي في قوله: «تعنى بالمعنى من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة»⁽¹⁾. وعن المعنى الحاصل من النظم وعن معنى المعنى الناتج عن الاستعمال المجازي، وتحدّث أيضاً عن فروق الدلالات الناتجة عن اختلاف وجوه النظم ولكن أهم إضافة حققها عبد القاهر هي حديثه عن المعنى النحوي.

أمّا التجاوز الآخر الذي نجده في التفكير البلاغي للجرجاني هو جعله اللفظ والمعنى من مقوّمات النظم ولكن برابط يجمع بينهما وهو أساساً رابط نحوي ذلك ما قصده بقوله إن النظم «توخى معاني النحو في معاني الكلم».

5. صدى النظام المصطلحيّ القديم في الفكر اللسانيّ الحديث:

إنّ ما أنجزه اللغويّون القدامى من بحوث في مجال المصطلح عبر محطات تاريخيّة مختلفة كانوا يسعون من خلالها إلى التخصّص بغية توحيد المعارف والعلوم، يعكس جهداً عظيماً جديراً بالتقدير والاعتراف. ونرى أنّ اللسانيّات الحديثة استفادت كثيراً في وضع قواميسها ومعاجمها ممّا نظر له القدامى في مجال الدلالة والكلام أفاضاً ومعاني. فنرى الباحثين المحدثين ينطلقون من المصطلح القديم ليجتهدوا له عن مرادف في التفكير الحديث وأحياناً تكون العمليّة عكسيّة فيقع الانطلاق من الحديث للبحث عن مترادفات لتلك المصطلحات في التراث اللغويّ، لاسيّما إذا

(2) انظر: محمود (إبراهيم كايد)، المصطلح ومشكلات تحقيقه، ص 25.

(1) المصدر نفسه، ص 184.

لقد مثلت نظرية النظم أهم نظرية قامت عليها البلاغة القديمة؛ إذ وُحِدت بين مختلف العناصر المؤسسة للكلام لا سيما بين عنصري اللفظ والمعنى عندما جعلهما الجرجاني أصل الكلام معا وإن كان المعنى سابقا للفظ في الزمن باعتبار أسبقيته في النفس، واللفظ يأتي لاحقا حتى يترتب حسب ترتيب المعاني في النفس بما يقتضيه العقل وما يقتضيه القصد والإفادة وعناصر المقام.

ونستتج أمرا آخر نراه جديرا بالاهتمام يتمثل في «الدلالة»، هذا المصطلح القديم الجديد، فالدلالة عند عبد القاهر هي دلالة التركيب لا المفردة، وتحصل من ائتلاف مختلف عناصر الكلام حسب التعلق النحوي المعتمد فيما بينها.

نضيف إلى ذلك أن هذه النظرية قد تضمّنت تحت مقولة النظم مصطلحات عديدة مثل مصطلح «المعنى» و«معنى المعنى» و«التفسير» و«المفسّر» وغيرها ممّا هو تحت طائلة النظم ولها مفاهيم خاصة عند الجرجاني عندما جعلها قائمة على مفهوم نحويّ، نضيف إلى ذلك مصطلح «الصورة» الذي أحاطه بتعريف شامل يقول: «واعلم أن قولنا» الصورة» إنّما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا، على الذي نراه بأبصارنا».

ويتجاوز ذلك التعريف ليبيّن فعلها (الصورة) وأثرها في السامع؛ إذ يقول: «فالاحتفال والصنعة في التصورات التي تروق السامعين وتروعهم، والتخيّلات التي تهز الممدوحين وتحركهم، وتعمل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكّلها الحدّاق بالتخطيط والنقش أو النحت

عن الجديد في القديم بتعصّب، سعيّا للتأصيل أو الانفتاح على الحديث.

وتتسع دائرة البحث في المصطلحات وما يقابلها في التراث اللغويّ في مجالاته المختلفة نحوا وبلاغة تجمع بين الاستعارة والتوليد والابتكار حتّى تواكب البحوث العربية الحديثة العلوم اللسانية ومصطلحاتها المستحدثة. لذا نقابل اليوم المصطلح الفرنسي structure بمصطلح «التركيب»، كما نقابل المصطلح الفرنسي sémantique structurale بالمصطلح العربيّ «الدلالة التركيبية»⁽¹⁾.

تلك جملة من الملاحظات العامة بشأن المصطلح البلاغي ومراحل تطوّره انطلقنا فيها من النظر في وضع المصطلح في التراث اللغوي وحاولنا البحث في امتداداته في التفكير اللساني الحديث. وأمّلنا من ذلك صوغ مصطلحات بلاغية تتميز بالدقّة والوضوح تحقّق التواصل بين مستعمليها يجمعها العلماء في معاجم خاصة.

الخاتمة

نستتج ممّا سبق أنّ مسألة البحث في المصطلح البلاغيّ أمر شديد التعقيد لضبابية الرؤية في البحوث اللغوية القديمة وذلك لتعدد المفاهيم للمصطلح الواحد. ويعتبر ما توصل إليه بعد القاهر الجرجاني أهم ما بلغه التفكير البلاغي العربي القديم كله عندما حدّد البلاغة بضوابط النحو ووجوهه وفروقه ممّا صبغ كلّ مصطلحات البلاغة بصيغة واحدة هي النحو.

(1) انظر: A. J. Greimas, Sémantique structurale, p6

- الذخر، فكما أن تلك تعجب وتخلب وتروق وتونق وتدخل من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها، ويفشاها ضرب من الفتنة لا ينكر مكانه...»⁽¹⁾.
- فمسألة المصطلح تبقى أمرا رهين مستحدثات التفكير اللساني وما يطرأ عليه من صنوف الإضافات والتجاوز. ويعود الفضل في تحقيق ذلك إلى جهود الباحثين في هذا المجال معجميين ولسانيين وغيرهم بالنظر في خبايا اللغة وأسرارها لوضع جهاز مصطلحي موحد يكون ذريعة يستخدمها كل من رام البحث في الدلالة والمعنى والكلام في المجالين البلاغي والنقدي.
- بيبلوغرافيا**
- المصادر:**
- القرآن الكريم
 - الباقلاني، إعجاز القرآن، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1988.
 - الجاحظ (أبو عثمان)، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مطبعة الخانجي، القاهرة 1968.
 - الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، 1991.
 - الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، دت.
 - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلامي القاهرة، دار المعارف، ط4، 1995.
 - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف
- الذخر، د. محمد زغلول سلام، ط3، نشر دار المعارف، مصر، 1976.
- الزركشي (بدر الدين)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار التراث، (د.ت).
 - السكاكي، مفتاح العلوم، المحقق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، 2000.
 - العسكري (أبو هلال)، الصناعتين الكتابة والشعر، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي، 1952.
 - ابن فارس (أحمد الرازي)، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج6، 1979.
 - الهمداني (عبد الجبار)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: أمين الخولي، وزارة الارشاد القومي، مصر: دارالكتب، 1960.
 - المراجع العربية والمعربة:
 - بيفريدج (و.إ)، فنّ البحث العلمي، ترجمة زكريا فهمي، مراجعة د/ أحمد مصطفى أحمد، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة 1963.
 - حجازي (محمود فهمي)، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. د.ت.
 - خطاب (أحمد)، المصطلحات العلمية وأهميتها في مجال الترجمة، العلوم الطبيعية كنموذج «في الترجمة العلمية (ندوة لجنة اللغة العربية الأكاديمية المملكة المغربية، طنجة، 11-12 ديسمبر 1995 الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.
 - حمدي (توفيق): مواقف البلاغيين والنقاد العرب القدامى من الاستعارة، نشر دار محمد علي الحامي بالاشتراك مع المعهد العالي للغات بتونس، تونس، 2007.
 - الحمزاوي (رشاد)، مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، اللسان العربي عدد1/18، 1980.

والنقر، فكما أن تلك تعجب وتخلب وتروق وتونق وتدخل من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها، ويفشاها ضرب من الفتنة لا ينكر مكانه...»⁽¹⁾.

فمسألة المصطلح تبقى أمرا رهين مستحدثات التفكير اللساني وما يطرأ عليه من صنوف الإضافات والتجاوز. ويعود الفضل في تحقيق ذلك إلى جهود الباحثين في هذا المجال معجميين ولسانيين وغيرهم بالنظر في خبايا اللغة وأسرارها لوضع جهاز مصطلحي موحد يكون ذريعة يستخدمها كل من رام البحث في الدلالة والمعنى والكلام في المجالين البلاغي والنقدي.

بيبلوغرافيا

المصادر:

- القرآن الكريم
- الباقلاني، إعجاز القرآن، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1988.
- الجاحظ (أبو عثمان)، البيان والتبيين، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مطبعة الخانجي، القاهرة 1968.
- الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، 1991.
- الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، دت.
- الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلامي القاهرة، دار المعارف، ط4، 1995.
- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف

(1) الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، ص297.

- الناقوري إدريس، المصطلح النقدي في نقد الشعر، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982.

المراجع الأجنبية:

- A. J. Greimas, *Sémantique structurale*, ed, Librarie Larousse, Paris 1972 .
- Dubuc (Robert), *Manuel pratique de terminologie*, Montréal et Paris: linguatex et conseil internationale de la langue Française, 1980.
- Iser (Wolfgang), *l'acte de lecture, théories de l'effet esthétique*, Bruxelles, Mardaga, 1985.
- Rey (Alain), *la terminologie: noms et notions*, Paris, 1979.

- الخطيب (أحمد شفيق)، حول توحيد المصطلحات العلمية، من محاضرات مجمع اللغة العربية في مؤتمره 59، القاهرة 12 26 أبريل 1993، بيروت، لبنان.
- الزيدي (توفيق): جدلية المصطلح والنظرية النقدية، ط1، قرطاج 2000.
- صمّود (حمادي): التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية، 1981.
- صمود (حمادي)، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، 1999.
- صمّود (حمادي) والمهيري (عبد القادر) ود (المسدي (عبد السلام): النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، 1988.
- القاسمي علي، مقدمة في علم المصطلح، بغداد، 1985.
- مجموعة من الأساتذة الجامعيين، تأسيس القضية الاصطلاحية، بيت الحكمة، قرطاج، 1989.
- محمود (إبراهيم كايد)، المصطلح ومشكلات تحقيقه، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 97، 2005.
- محمود (زكي نجيب)، حصاد السنين، دار الشروق، بيروت، ط1، سنة 1992.
- المسدي (عبد السلام)، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس 1984.
- المسدي (عبد السلام)، المصطلح النقدي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس 1995.
- المسدي (عبد السلام)، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس 1984.
- المسدي (عبد السلام)، قراءات مع الشبابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1984.
- مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، بغداد، المجمع العلمي العراقي.